

قالَ الْغَرِيبُ: بِالطَّبْعِ لَا أَرْضَى!

ثُمَّ طَلَبَ الْقَاضِي مِنْ رَجُلٍ آخَرَ أَنْ يَتَقَدَّمَ، لِيَسْتَمَعَ إِلَى شَكْوَاهُ، فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ كَبِيرُ السِّنِّ،

وقالَ هذا الشَّيْخُ: أَيُّهَا الْقَاضِي، أَنْصِفْنِي مِنْ هَذَا الْجَارِ، إِنَّهُ يُؤْذِنِي فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، لَقَدْ نَغَّصَ عَلَيَّ حَيَاتِي، وَحَرَّضَ عَلَيَّ أَبْنَائِي، وَكَادَ يُفْقِدُنِي سَعَادَتِي فِي مَنْزِلِي.

تَعَجَّبَ الرَّجُلُ الْغَرِيبُ، مِمَّا قَالَهُ الشَّيْخُ؛ فَهُوَ لَا يَكَادُ يَرَاهُ فِي الْأُسْبُوعِ إِلَّا مَرَّةً، وَهُوَ لَا يَذْكُرُ أَنَّهُ تَدَخَّلَ فِي شُؤْنِ حَيَاتِهِ، وَلَا كَلَّمَ أَوْلَادَهُ. نَظَرَ الْقَاضِي إِلَى الْغَرِيبِ وَقَالَ: هَلْ هَذَا الْكَلَامُ صَحِيحٌ؟

قالَ الْغَرِيبُ: أَيُّهَا الْقَاضِي، إِنِّي لَا أَذْكُرُ شَيْئاً مِمَّا يَقُولُهُ هَذَا الرَّجُلُ، فَهَلْ لَدَيْهِ دَلِيلٌ؟!

قالَ الْقَاضِي لِلْمُسْتَكِي: هَلْ لَدَيْكَ دَلِيلٌ أَيُّهَا الرَّجُلُ؟

قالَ الشَّيْخُ: نَعَمْ، أَيُّهَا الْقَاضِي؛ إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ يَمْنَعُ عَنِّي الشَّمْسَ وَالْهَوَاءَ.

قالَ الْقَاضِي: هَاتِ دَلِيلَكَ.

قالَ الشَّيْخُ: مَنْ مَالِكُ الشَّمْسِ وَالْهَوَاءِ؟

قالَ الْقَاضِي: اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ.

قالَ الشَّيْخُ: فَكَيْفَ إِذَنْ يَمْنَعُنِي هَذَا الرَّجُلُ مِنْهُمَا؟!!

قالَ الْقَاضِي: كَيْفَ؟

قالَ الشَّيْخُ: لَقَدْ رَفَعَ بِنَاءَهُ، وَأَعْلَى جُدْرَانَهُ دُونَ أَنْ يَطْلُبَ مِنِّي إِذْنًا بِذَلِكَ. وَقَدْ مَنَعَ عَنِّي الدَّارِ الْمُتَوَاضِعَةِ ضَوْءَ

الشَّمْسِ، وَحَجَبَ عَنِّي الْهَوَاءَ الْعَلِيلَ.

قالَ الْقَاضِي: ثُمَّ مَاذَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْعَجُوزُ؟

قالَ الشَّيْخُ وَقَدْ دَمَعَتْ عَيْنَاهُ: إِنَّهُ يُؤْذِنِي، وَيُشْعِرُنِي بِفَقْرِي وَاحْتِيَاجِي.

قالَ الْقَاضِي: وَكَيْفَ هَذَا؟

قالَ الشَّيْخُ: إِنَّهُ يَطْعَمُ الطَّعَامَ، وَيَشْوِي اللَّحْمَ، فَتَنْتَشِرُ رَائِحَةُ الشَّوَاءِ، وَتَتَطَلَّقُ رَوَائِحُ الطَّعَامِ، مِمَّا يَجْعَلُنَا نَشْتَهِي،

وَنَرْهَدُ فِيمَا فِي أَيْدِينَا مِنْ طَعَامٍ قَلِيلٍ. وَجَارِي لَا يَتَذَكَّرُ أَنَّنَا أَيْضاً بَشَرٌ مِثْلُهُ، لَا يُفَكِّرُ - وَلَوْ مَرَّةً

وَاحِدَةً - أَنْ يَبْعَثَ لَنَا شَيْئاً مِمَّا طَبَخَ، بَدَا الْحُزْنَ عَلَى وَجْهِ الْقَاضِي، وَتَأَثَّرَ الْحَاضِرُونَ، وَاسْتَحْيَا

الرَّجُلُ الْغَرِيبُ مِنْ كَلَامِ الشَّيْخِ.

نَظَرَ الْحَاضِرُونَ إِلَى وَجْهِ الرَّجُلِ الْغَرِيبِ، وَقَدْ احْمَرَّ خَجَلًا، وَنَظَرُوا إِلَى عَيْنَيْ الشَّيْخِ، وَقَدْ مَلَأَتْهُمَا

الدُّمُوعُ، وَالتَفَتَ الْقَاضِي إِلَى الْغَرِيبِ يَسْأَلُهُ:

هَلْ مَا قَالَهُ الْجِيرَانُ صَحِيحٌ؟

أَجَابَ الْغَرِيبُ بِصَوْتٍ مُنْخَفِضٍ: نَعَمْ، وَإِنِّي أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِمَّا فَعَلْتُ.

قالَ الْقَاضِي: إِنَّ لَجِيرَانِكَ عَلَيْكَ حُقُوقاً كَثِيرَةً بَيَّنَّهَا الشَّرِيعَةُ. وَكَانَ رَسُولُنَا الْكَرِيمُ ﷺ يوصِينَا بِالْجَارِ دَائِماً،

فَمَا بِالْكَ لَا تَقِي بِحُقُوقِ الْجِيرَانِ؟

(يَحْيَى حَاجِي يَحْيَى بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ مِنْ قِصَصِهِ «قَاضِي الْجِيرَانِ وَحِكَايَاتٍ أُخْرَى»)

الوَحْدَةُ الثَّانِيَّةُ عَشْرَةُ

طَبَقَاتُ الْأَصْدِقَاءِ	القراءة المكثفة
استعمالات "لا"	القواعد (أ)
إلى الشباب	فهم المسموع (القسم الأول)
طرفتان	فهم المسموع (القسم الثاني)
كاد وأخواتها	القواعد (ب)
في الأرض المقدسة	القراءة الموسعة

طَبَقَاتُ الْأَصْدِقَاءِ

خُذْ قَلَمًا وَوَرَقَةً، وَحَاوِلْ أَنْ تَكْتُبَ أَسْمَاءَ أَصْدِقَائِكَ جَمِيعًا أَيُّهَا الشَّابُّ، ثُمَّ صَنِّفْهُمْ أَصْنَافًا؛ تَجِدْ مِنْهُمْ مَنْ لَيْسُوا أَصْدِقَاءَ عَلَى التَّحْقِيقِ. فَمِنْهُمْ رَفِيقٌ تَقَابُلُهُ كُلُّ يَوْمٍ أَمَامَكَ فِي السَّيَّارَةِ، أَوِ الْحَافِلَةِ، يُحْيِيكَ فَتُحْيِيهِ. وَمِنْهُمْ رَفِيقُ الْعَمَلِ، فَتَرَى مَكْتَبَهُ بِجَانِبِ مَكْتَبِكَ.

فَإِذَا أَرَدْتَ الصِّفَةَ الَّتِي تَجْمَعُ خِلَالَ الْخَيْرِ، وَالْعَمَلِ الَّذِي يُصْلِحُ الْأَعْمَالَ كُلَّهَا، فَارْتَبِ أَسْمَاءَ أَصْدِقَائِكَ وَأَصْحَابِكَ، وَأَنْظُرْ إِلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ: هَلْ هُوَ صَالِحٌ فِي نَفْسِهِ، أَمْ هُوَ غَيْرُ صَالِحٍ. وَهَلْ هُوَ مُخْلِصٌ لِصَدِيقِهِ، أَمْ هُوَ لَا يَهْتَمُّ إِلَّا بِنَفْعِ نَفْسِهِ. وَهَلْ هُوَ مُؤَنِّسٌ لِحَلِيسِهِ، أَمْ هُوَ مُزَعِّجٌ؟ فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ، رَأَيْتَ الْأَصْدِقَاءَ أَنْوَاعًا:

● وَجَدْتَ فِيهِمْ مَنْ هُوَ صَائِمٌ مُصَلٍّ لَهُ سَمَتُ الْمُتَّقِينَ، وَزِيُّ الصَّالِحِينَ، وَلَكِنَّهُ يَتَّخِذُ ذَلِكَ سُلْمًا لِلدُّنْيَا وَشَبَكَةً لِلْمَالِ، وَوَجَدْتَ حَقِيقَتَهُ تَكْذِبُ ظَاهِرُهُ، فَإِذَا عَاهَدْتَهُ خَانَكَ، وَإِنْ عَامَلْتَهُ غَشَّكَ.

● وَوَجَدْتَ فِيهِمْ مَنْ يَبْدُو أَنَّهُ صَادِقُ الْمَعَامَلَةِ، أَمِينُ الْيَدِ، لَكِنَّهُ لَا يَصُومُ، وَلَا يُصَلِّي، وَلَيْسَ لَهُ مِنَ الدِّينِ إِلَّا اسْمُهُ؛ فَهُوَ يُفْسِدُ عَلَيْكَ دِينَكَ.

● وَوَجَدْتَ فِيهِمْ مَنْ هُوَ صَالِحٌ مُتَعَبِّدٌ، أَمِينٌ صَادِقُ الْمَعَامَلَةِ، وَلَكِنَّهُ صَاحِبُ شَهْوَةٍ، لَا حَدِيثَ لَهُ إِلَّا عَنْهَا، فَهُوَ يُؤْذِيكَ بِإِثَارَةِ الْخَامِدِ مِنْ رَغَبَتِكَ.

● وَوَجَدْتَ مَنْ هُوَ صَالِحٌ فِي نَفْسِهِ، أَمِينٌ فِي مُعَامَلَتِهِ، لَكِنَّهُ لَا يَنْفَعُ صَدِيقًا، وَلَا يُسْعِدُ صَاحِبًا.

● وَوَجَدْتَ مَنْ يَخْدُمُ صَدِيقَهُ وَيُسَرُّهُ، لَكِنَّهُ لَا يُبَالِي فِي خِدْمَتِهِ وَمَسَرَّتِهِ أَنْ يُعْطِيَهُ مِنْ دِينِهِ، فَيَخُونُ مِنْ أَجْلِ أَمَانَتِهِ؛ فَيَأْخُذُ بِيَدِكَ حَتَّى يَدْخُلَكَ مَعَهُ جَهَنَّمَ.

● وَوَجَدْتَ مَنْ هُوَ دِينَ فِي نَفْسِهِ، مُعِينٌ لِصَدِيقِهِ، وَاقِفٌ عِنْدَ حُدُودِ اللَّهِ، لَكِنَّهُ يَجْهَلُ طَرَائِقَ الْمَعَاشِرَةِ.

● وَوَجَدْتَ مَنْ هُوَ أَحْمَقُّ، أَوْ فَاحِشٌ.

● وَوَجَدْتَ مَنْ يُصَادِقُكَ لِحَسْبِكَ، أَوْ مَنْصِبِكَ، فَهُوَ يَتَّخِذُكَ زِينَةً لِيَوْمِهِ، وَعُدَّةً لِعَدِيهِ، فَأَنْتَ عِنْدَهُ حِلْيَةٌ تَجْمَلُ الْجِدَارَ.

● وَوَجَدْتَ فِيهِمْ مَنْ هُوَ صَالِحٌ فِي نَفْسِهِ، أَمِينٌ فِي مُعَامَلَتِهِ، صَادِقٌ فِي قَوْلِهِ، يَنْفَعُ صَدِيقَهُ، وَيُسْعِدُ صَاحِبَهُ، فَاطْمَرُ بِهِ.

وَالْخُلَاصَةُ أَنَّ الْأَصْحَابَ خَمْسَةَ: فَصَاحِبُ كَالْهَوَاءِ لَا يُسْتَفْتَى عَنْهُ. وَصَدِيقُ كَالْغِذَاءِ لَا يَعِيشُ الْإِنْسَانُ إِلَّا بِهِ، وَلَكِنْ رُبَّمَا سَاءَ طَعْمُهُ، أَوْ صَعِبَ هَضْمُهُ، وَصَاحِبُ كَالدَّوَاءِ مُرٌّ كَرِيهُ، لَكِنْ لَا بُدَّ مِنْهُ أحيانًا، وَصَاحِبُ كَالْخَمْرِ تَلْدُ لِشَارِبِهَا، وَلَكِنَّهَا تَوْدِي (تَذْهَبُ) بِصِحَّتِهِ وَشَرَفِهِ. وَصَاحِبُ كَالْبَلَاءِ.

أَمَّا الَّذِي كَالْهَوَاءِ فَهُوَ يُفِيدُكَ فِي دِينِكَ، وَيَنْفَعُكَ فِي دُنْيَاكَ. وَأَمَّا الَّذِي هُوَ كَالْغِذَاءِ، فَهُوَ الَّذِي يُفِيدُكَ فِي الدُّنْيَا وَالدِّينِ، لَكِنَّهُ يُزَعِّجُكَ أحيانًا بِغِلَظَتِهِ، وَجَفَاءِ طَبْعِهِ. وَأَمَّا الَّذِي هُوَ كَالدَّوَاءِ، فَهُوَ الَّذِي تَضْطَرُّكَ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ، وَيَنَالُكَ النَّفْعُ مِنْهُ، وَلَا يُرْضِيكَ دِينُهُ، وَلَا تُسَلِّكَ عِشْرَتَهُ. وَأَمَّا الَّذِي هُوَ كَالْخَمْرِ، فَهُوَ الَّذِي يُبْلِغُكَ لَذَّتِكَ، وَيُسَلِّكَ رَغَبَتَكَ، وَلَكِنْ يُفْسِدُ خُلُقَكَ، وَيُهْلِكُ آخِرَتَكَ. وَأَمَّا الَّذِي هُوَ كَالْبَلَاءِ، فَهُوَ الَّذِي لَا يَنْفَعُكَ فِي دُنْيَا وَلَا دِينٍ، وَلَا يُمْتَعُكَ بِعِشْرَةٍ، وَلَا حَدِيثٍ، وَلَكِنْ لَا بُدَّ لَكَ مِنْ صُحْبَتِهِ.

عَلَيْكَ أَنْ تَجْعَلَ الدِّينَ مِقْيَاسًا، وَرِضَا اللَّهِ مِيزَانًا، فَمَنْ كَانَ يُفِيدُكَ فِي دِينِكَ، فَاسْتَمْسِكْ بِهِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ لَا تَقْدِرُ عَلَى عِشْرَتِهِ. وَمَنْ كَانَ لَا يُرْضِيكَ فَاتْرُكْهُ، إِلَّا أَنْ تَكُونَ مُضْطَرًّا إِلَى صُحْبَتِهِ، فَتَكُونَ هَذِهِ الصُّحْبَةُ ضَرُورَةً، بِشَرْطِ أَلَّا تُجَاوِزَ فِي هَذِهِ الصُّحْبَةِ حَدَّ الضَّرُورَةِ. وَأَمَّا الَّذِي لَا يَضُرُّكَ فِي دِينِكَ، وَلَا يَنْفَعُكَ فِي دُنْيَاكَ، وَلَكِنَّهُ ظَرِيفٌ مُمْتَعٌ، فَافْتَصِرْ مِنْهُ عَلَى الِاسْتِمْتَاعِ بِظَرْفِهِ، عَلَى أَلَّا تَمْتَعَكَ هَذِهِ الصُّحْبَةُ مِنَ الْوَاجِبِ، وَلَا تَمْشِيَ بِكَ إِلَى عَبَثٍ، أَوْ إِثْمٍ.

(بِتَصْرِفٍ مِنْ كِتَاب: صُورُ وَخَوَاطِرُ لِلشَّيْخِ عَلِيِّ الطَّنَطاوِيِّ)

قراءة موسعة

في الأرض المقدسة

(١) سألني في شيء من الاستغراب، ورآني أعيدُ حقائبي للسفر إلى مكة المكرمة، لأقوم بالعمرة: أحقاً ستسافرُ لأداء العمرة؟ أحقاً ستذهبُ إلى مكة؟ قلتُ له في هدوء: نعم يا صديقي، سأسافرُ إلى مكة، وسأقومُ بأداء العمرة. أريدُ أولاً أن أقضي منسكاً من مناسك الإسلام، وأريدُ ثانياً أن أرى وأمسُ الأرض التي أنبتتني رمالها. إنني أشعرُ في أعماق نفسي، أن دمي من تلك الرمال، من جبلٍ أُحدٍ، من ساحة بدرٍ، من غار حراء، من ماء زمزم. كلُّ أولئك اختلطت، فكوّنت هذا الإنسان الذي يُسمى عبدُ المعين. وسافرتُ إلى مكة.

(٢) كنّا في السيّارة من جدة إلى مكة المكرمة. وكُنْتُ أحاولُ في سذاجة، أن أطوي الأرض طياً، فلا أستطيع. وأطلت علينا مكة المكرمة، فصرتُ أحاولُ في سذاجة أن أحترق بعينيّ البنايات العالية، والشوارع المزدهمة، وأن أرى جذران البيت الحرام، وأن ألمس ستائر الكعبة المشرفة فلا أستطيع. ما أصعب أن يسبقك قلبك إلى بيت الأحيّة، ويبقى جسدك أسير اللحم والعظم!! كنت أحترق لهفة وتطلّعاً. وما فائدة أن تحترق قبل أن تصل؟ وصلنا، وكبرنا الله تكبيراً: الله أكبر.. الله أكبر.

إنّها الكلمات التي تُثيرُ طريقنا إلى الله، إلى الحق والقوّة. كان حرم مكة يتلأأ. ما أصعب أن يسبقك قلبك إلى بيت الأحيّة!

(٣) هاهنا كانت برز زمزم تشع، وتكاد تغيض، فحفَرناها، فتدققت. هاهنا كانت الكعبة تكاد تتداعى، فحَمَلْنَا إليها الأحجار والطين وأعدنا بناءها من جديد. هاهنا كانت الكعبة عارية، فنسجنا لها رداءها من عيوننا وكسوناها. هاهنا كان الرسول مُحَمَّد ﷺ يسجد لله، فكان الكفار يُزاحمونهُ، ويُزعجونهُ، ويُلقون عليه - وهو ساجد - التراب والشوك، فأزلنا عنه ما رماه به الكفار، وانتصرنا عليهم، وتمت كلمة ربنا. وطفنا بالكعبة المشرفة. ما أكثر الناس الذين طافوا بها قبلنا، والذين يطوفون الآن بها معنا. إنك تشعرُ وأنت بين الناس في الزحام، أنك أصبحت أشدَّ قوّة، وأمضى عزيمة، وأكثر ارتباطاً بالإنسانية. وتم الطواف، ومضينا للسعي بين الصفا والمروة. من أين جاءتني هذه القوّة الدافقة؟

(٤) كُنْتُ أسيرُ في بطن، وأعتمدُ على عكاز، لأنني كُنْتُ أعاني بقايا الشلل. أمّا الآن فأنا أطيّر طيرانا، أجري جرياً، أسبق الشباب، وأسعى وأسعى في فرح ونشاط، وأرددُ كلمات الله، وأدعو دعوات، يفيض بها جناني، فأسيلُ على لساني.. لكانّها ينبوع ماء جف ذات يوم، وها هو ذا الآن يعودُ غزيراً، ليتدفّق من جديد.. أدبنا الصلاة حول الكعبة حلقات حلقات. وفجأة خيلَ إليّ أن الحلقات تتداح